**خطبة: عبد الله بن المبارك.**

**الخطيب: الشيخ يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

تاريخ أمتنا مليء بعلماء أفذاذ كانوا للأمة كالنجوم في الليل الكالح، تجسد فيهم الدين بسموه وفاعليته وتكامله، جمعوا بين العلم والعمل، والعبادة والجهاد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للأمة، ومن هؤلاء الأمام العالم المجاهد عبد الله بن المبارك، بذكراه وأمثاله يتجدد الايمان، ويزداد اليقين، وتعلو الهمم وتشتد العزائم لاكتساب الفضائل والسعي لمرضاة الله

، كان مولده في سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج.

فماهي جوانب القدوة التي رصدها تلاميذه ودونوها لتكون زادا للعلماء وطلبة العلم وللأمة جمعاء؟

إن من أهم جوانب شخصية عبد الله بن المبارك عباد الله عبادته وخشيته لله تعالى يتمثل فيه قوله تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء "

وهذا هو العلم النافع، الذي يقود إلى خشية الله تعالى، ورحم الله ابن مسعود إذ يقول: كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار بالله جهلا.

قال القاسم بن محمد: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي:

" بأي شيء فضل علينا هذا الرجل حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة، إن كان يصلي إنا لنصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج، قال: فكنا

في بعض مسيرنا في طريق الشام نتعشى في بيت إذ طفيء السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وأخذ يبحث عما يوقد به المصباح، فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج

فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.

وقال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى شربة ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي المنوال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي

أنه قال: ((ماء زمزم لما شرب له)) وهذا أشربه لعطش يوم القيامة.

وكان رحمه الله يكثر من تتبع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، قال نعيم: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش، فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته. (باطلاعه في السير والمغازي)

ويروى عنه رحمه الله أنه قال:

اغتنم ركعتين زلفـى إلى الله إذا كنت فـارغـا مستـريحـا

وإذا ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكـانـه تسـبيـحا

فاغتنام السكوت أفضـل من خوض وإن كنت بالكلام فصيحا

ولذا قال نعيم: ما أريت أعقل من ابن المبارك ولا أكثر اجتهادا في العبادة منه.

ومن جوانب القدوة في حياة ابن المبارك رحمه الله: جهاده في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله عز وجل، فلم يغتر بعبادته ويتكل عليها فيترك الجهاد، وكان ينصح أصحابه ألا تقطعهم العبادة عن الجهاد،

كان في الثغور يوما فكتب إلى صاحبه الفضيل بن عياض رحمه الله وكان مجاورا في مكة أبيات شعر تجسد الفقه بالدين ومراتبه:

يا عـابد الحرمين لو أبصرتنـا لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعـه فنحورنـا بدمائنـا تتخضب

أو كان يتعب خيلـه في باطـل فخيولنا يوم الصبيحـة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنـا رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقـد أتانا من مقـال نبينـا قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله فـي أنف امرئ ودخان نار تلهب

وكان مع فضله وشهرته حريصا على إخلاص العمل لله تعالى، وتجنب أن يذكر بين الناس، قال عبيدة بن سليمان المروزي: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم فصاففنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل فبارزه ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا!!

وقال محمد بن الفضيل بن عياش: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أي العمل أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم، قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة.

وفقنا الله لرضاه وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

معاشر المؤمنين

في سيرة ابن المبارك دروس عظيمة للتجار والميسورين، منها النية الصالحة في طلب المال، فقد كان ابن المبارك ينوي بتجارته الإنفاق على المساكين والإنفاق على إخوانه، والقيام بحاجات أهل العلم ليتفرغوا لبث علمهم في الناس.

قال الذهبي رحمه الله: بلغنا أنه قال للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت.

وقال حبان بن موسى: عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه، لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

إخوة الإسلام: بكل هذه الجوانب المشرقة في حياة ابن المبارك وإخلاصه وعلمه وخشيته لله وطيب نفسه ومحاسبته لها، صار عالما يحتذى به وإماما ربانيا يقتدى به ليس في حياته فقط، بل مازال واعظا لنا بسيرته وهو تحت أطباق الثرى.

ورحم الله بعض الفضلاء إذ يقول:

مررت بقبر ابن المبارك غـدوة فأوسعني وعظا وليس بنـاطق

وقد كنت بالعلم الذي في جوانحي غنيا وبالشيب الذي في مفـارقي

ولكن أرى الذكرى تنبـه عاقـلا إذا هي جاءت من رجال الحقائق